



## الإبداع وسلطة المعنى بين البلاغة العربية والتوليد الآلي للنصوص

(دراسة نقدية في حدود القصد والتأويل)

زهرة خليفة سليمان

كلية التربية الزاوية. جامعة الزاوية . ليبيا

[z.sulayman@zu.edu.ly](mailto:z.sulayman@zu.edu.ly)

<https://orcid.org/0009-0002-6932-1147>

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى دراسة مفهوم الإبداع اللغوي في ضوء التراث البلاغي العربي والنقد الحديث، ومقارنته بآليات التوليد الآلي للنصوص في نماذج الذكاء الاصطناعي. وينطلق من إشكالية مركزية مفادها: إلى أي حد يمكن اعتبار النصوص المولدة آليا إبداعا حقيقيا؟ وقد اعتمد البحث المنهج التحليلي المقارن، من خلال استقراء تصورات النقاد القدامى، مثل عبد القاهر الجرجاني والجاحظ، ومقارنتها برؤى معاصرة في اللسانيات والنقد الثقافي. وتوصل إلى أن الإبداع الإنساني يقوم على الوعي والسياق والتجربة، في حين يعتمد التوليد الآلي على معالجة رمزية إحصائية تفتقر إلى القصدية، ويخلص البحث إلى أن النصوص الآلية، رغم قدرتها المحاكاة، لا ترتقي إلى مستوى الإبداع الإنساني من حيث العمق الدلالي والوعي الجمالي.

### Abstract:

This study examines the concept of linguistic creativity in the light of Arabic rhetorical heritage and modern literary criticism and compares it with text-generation mechanisms in artificial intelligence models. Adopting a comparative analytical approach, the study investigates the views of classical Arab critics, particularly Abd al-Qahir al-Jurjani and Al-Jahiz, alongside contemporary perspectives in linguistic and cultural criticism. The findings reveal that human creativity is grounded in consciousness, context, and lived experience, whereas AI-generated texts depend on statistical and symbolic processing that lacks intentionality. The study concludes that, despite their ability to simulate human language effectively, AI-generated texts do not reach the level of human creativity in terms of semantic depth and aesthetic awareness.

## المقدمة:

يشهد الأدب العربي المعاصر تحولات متسارعة فرضتها التحولات الرقمية عامة، وظهور الذكاء الاصطناعي بوصفه أحد أبرز مخرجاتها. ولم يعد هذا الذكاء مقصوراً على مجالات التقنية الصرفة، بل تجاوزها ليطال مجالات اللغة، والإبداع، وإنتاج النصوص، الأمر الذي يفرض على الدرس الأدبي إعادة النظر في جملة من المفاهيم التي طالما عدت من المسلّمات، مثل مفهوم الإبداع، وحدود المؤلف، وطبيعة الفعل اللغوي، وعلاقة النص بذاته وبمنتجه.

ولا تتبع إشكالية هذا البحث من مجرد حضور الذكاء الاصطناعي في المجال الأدبي، بل من طبيعة الخطاب الذي يُنتج حوله، وكيفية تمثيله داخل الثقافة العربية المعاصرة؛ إذ يُلاحظ أنّ كثيراً من الطروحات إمّا تتحوّ منحى احتفائياً يضيف على التقنية طابعاً شبه خلاصي، أو تتخذ موقفاً دفاعياً يقوم على التخوّف من تهديد الهوية اللغوية والإبداع الإنساني. وبين هذين الاتجاهين يغيب في الغالب التحليل النقدي الذي يتعامل مع الذكاء الاصطناعي بوصفه نسفاً معرفياً وخطابياً، لا مجرد أداة. ومن هنا يتأسس هذا البحث على مسالة العلاقة بين الأدب العربي والذكاء الاصطناعي من زاوية نقدية، تنظر إلى اللغة بوصفها وسيطاً للمعنى، وإلى الإبداع بوصفه فعلاً ثقافياً مشروطاً بسياقاته المعرفية والتاريخية. كما يسعى إلى الكشف عن الكيفية التي يُعاد بها إنتاج مفاهيم مثل الأصالة، والابتكار، وسلطة النص، في ضوء التحولات التي أحدثها الذكاء الاصطناعي في آليات الكتابة والتلقي.

وقد تناولت بعض الدراسات العربية والغربية الحديثة هذه المسألة من زوايا متعدّدة، إلا أنّ معظمها ركّز إمّا على الجانب التقني، أو على البعد الفلسفي المجرد، دون أن يمنح الخطاب الأدبي العربي ما يستحقه من تحليل نقدي يكشف عن بنيته وتحولاته الداخلية. الأمر الذي يبرز الحاجة إلى دراسة تقارب الموضوع من داخل الحقل الأدبي نفسه، وبأدواته النقدية، مع الاستفادة من الدراسات المعاصرة دون الارتهاان لها.

## مشكلة البحث:

تنطلق إشكالية هذا البحث من التساؤل الرئيس الآتي:

هل يمكن عدّ النصوص المولّدة آلياً نصوصاً إبداعية بالمعنى البلاغي والنقدي، رغم افتقارها إلى القصد والتجربة الإنسانية؟، ويتفرّع عن هذا السؤال عدد من التساؤلات الفرعية، من أبرزها:

- ما الأسس التي قام عليها مفهوم الإبداع في البلاغة العربية؟
  - كيف يتشكل المعنى في النصوص المولدة آلياً؟
  - هل يؤدي غياب المؤلف إلى تحرر الدلالة أم إلى أزمة تأويلية؟
- وما حدود سلطة المتلقي في تأويل الخطاب الآلي؟

#### أهداف البحث:

- تأصيل مفهوم الإبداع وسلطة المعنى في البلاغة العربية.
- تحليل خصائص النصوص المولدة آلياً من منظور نقدي.
- الكشف عن أثر غياب القصد في بناء المعنى.

#### منهج البحث:

يعتمد هذا البحث المنهج التحليلي النقدي في مقارنة إشكالية الإبداع وسلطة المعنى في النصوص المولدة آلياً، مستفيداً من أدوات البلاغة العربية ونقد الخطاب في تحليل المفاهيم المؤسسة للعلاقة بين القصد والمعنى والنص. كما يستأنس بالمنهج المقارن في موازنة التصورات البلاغية التراثية بمفاهيم الإبداع الحديثة، للكشف عن أوجه الالتقاء والاختلاف بين الفعل الإبداعي الإنساني والإنتاج اللغوي القائم على الخوارزميات. ويقوم التحليل على تتبع البنية الدلالية للنصوص، وربطها بشروط إنتاجها الثقافية والمعرفية، دون الوقوع في الإسقاط المنهجي أو التبعية المفهومية.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الإحالات إلى بعض المنظرين المعاصرين في هذا البحث ترد بوصفها تلخيصاً تحليلياً لأفكارهم، لا اقتباساً حرفياً من نصوصهم، وذلك التزاماً بالمنهج النقدي القائم على الفهم والتأويل لا على النقل المباشر، مع الإشارة إلى المصادر المعتمدة في الهوامش.

#### المبحث الأول: الأسس البلاغية للإبداع وسلطة المعنى في النقد العربي:

يقوم هذا المبحث على تأصيل الإطار النظري الذي ينطلق منه البحث في مساءلة الإبداع والمعنى في النصوص المولدة آلياً. إذ لا يمكن مقارنة هذه الظاهرة المعاصرة بمعزل عن التصورات البلاغية والنقدية التي أرساها التراث العربي، والتي جعلت من الإبداع فعلاً إنسانياً واعياً، ومن المعنى نتيجةً لقصدٍ وترتيبٍ وسياق. ومن هنا، يسعى هذا المبحث إلى بيان الأسس التي حكمت فهم الإبداع وسلطة المعنى في النقد العربي، تمهيداً للانتقال إلى مساءلة هذه الأسس في ضوء التوليد الآلي للنصوص.

## المطلب الأول: الإبداع بوصفه فعلاً قصدياً في البلاغة العربية

لم يكن الإبداع في التصور البلاغي العربي مجرد قدرة على إنتاج تراكيب لغوية متقنة، بل عدّ فعلاً إنسانياً مركّباً، تتداخل فيه عناصر القصد، والاختيار، والوعي بالسياق. وقد ارتبط هذا الفهم ارتباطاً وثيقاً بنظرية النظم التي أسس لها عبد القاهر الجرجاني، والتي نقلت البلاغة من مستوى اللفظ المفرد إلى مستوى العلاقة بين المعاني في الذهن قبل تجسيدها في الكلام.

يقول الجرجاني في سياق حديثه عن النظم: «واعلم أنّ ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تُخلّ بشيء منها»<sup>(1)</sup>. يفهم من هذا النص أن النظم ليس عملية آلية، بل فعل ذهني سابق على التلقّف، يقوم على ترتيب المعاني في النفس، ثم اختيار الألفاظ المناسبة لها. وهذا يعني أن الإبداع مشروط بوجود ذات واعية تُجري هذا الترتيب، وتتحمّل مسؤولية اختياراتها التعبيرية. ويؤكد الجرجاني هذا المعنى حين ينفي أن تكون البلاغة قائمة في اللفظ وحده، فيقول: «واعلم أنّك إذا رجعت إلى نفسك علمتَ علماً لا يداخله الشك أنّ ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض»<sup>(2)</sup>، فالإبداع، وفق هذا التصور، لا يتحقق بمجرد تجاور الكلمات، بل يربطها وفق مقصدٍ ومعنى سابقين.

ويعضد هذا الفهم ما ذهب إليه الجاحظ، إذ ربط جودة الكلام بوعي المتكلم بمقصده، وبقدرته على اختيار الأسلوب المناسب للمقام، حيث يقول: «والمعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العربي والعجمي، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخيّر اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحّة الطبع وجودة السبك»<sup>(3)</sup>.

وعلى الرغم من شهرة هذا القول، فإنه لا ينفى مركزية المعنى، بل يؤكد أن الفضل الإبداعي لا يتحقق إلا بحسن التصرف في المعنى، وهو تصرف لا يكون إلا عن قصدٍ واختيار، كما نجد عند ابن جني تأكيداً واضحاً على أن اللغة فعل إرادي، لا مجرد أصوات متتابعة، إذ يقول: «إن أكثر اللغة إنما جاء على القصد والاختيار، لا على الاتفاق والاضطرار»<sup>(4)</sup>؛ يرسخ هذا النص فكرة محورية مفادها أن الإبداع اللغوي لا يقوم على المصادفة، بل على قصدٍ إنساني واعٍ، وهو ما يجعل النص الأدبي

مرتبطاً بمنتجه ارتباطاً لا ينفصم؛ ومن ثمّ، يمكن القول إن البلاغة العربية قد أسست مبكراً لفكرة أن الإبداع فعل قصدي، وأن النص لا يكتسب قيمته من انتظامه الشكلي فحسب، بل من كونه تعبيراً عن وعي وتجربة ورؤية.

### المطلب الثاني: المعنى بين النظم والسياق ومسؤولية المتكلم

إذا كان الإبداع في البلاغة العربية فعلاً قصدياً، فإن المعنى بدوره لم يُنظر إليه بوصفه دلالة ثابتة كامنة في اللفظ، بل باعتباره نتيجة تفاعل معقد بين النظم والسياق والمقام لذلك رفض البلاغيون العرب اختزال المعنى في الألفاظ المفردة، وأكدوا أن الدلالة لا تستقيم إلا بوجود متكلم مسؤول عن قوله. يقول عبد القاهر الجرجاني في هذا السياق: «ليس الغرض بنظم الكلم أن توالي ألفاظها في النطق، بل أن تتلاقى معانيها في النفس»<sup>(5)</sup>، يكشف هذا القول إن المعنى سابق على اللفظ، وأن ترتيب الألفاظ ليس إلا انعكاساً لترتيب المعاني في ذهن المتكلم. ومن هنا، فإن المعنى لا يمكن فصله عن القصد الذي أنتجه، كذلك ربط الجرجاني بين المعنى والسياق، مؤكداً أن اختلاف المقام يؤدي إلى اختلاف الدلالة، حتى مع ثبات الألفاظ، وهو ما يدل على أن المعنى نتاج علاقة، لا خاصية لفظية ثابتة.

ويعرّز هذا التصور ما ذهب إليه تمام حسان في دراساته اللغوية الحديثة، حيث يقول: «المعنى لا يقوم على اللفظ وحده، وإنما يتحدد من خلال السياق، والقرائن، والمقام الذي يُستعمل فيه اللفظ»<sup>(6)</sup>، ويبيّن هذا الطرح أن المعنى مشروط بعناصر خارج النص، أهمها وجود متكلم يوجّه الخطاب ضمن سياق محدد.

ومن جهة أخرى، ترتبط سلطة المعنى في النقد العربي بمسؤولية المتكلم عن قوله. فالنص ليس كياناً مستقلاً عن منتجه، بل يُنسب إليه، ويُحاسب على ما يحمله من دلالات. وقد أشار الجاحظ إلى هذا البعد حين قال: «إنما يُعرف فضل الكلام بفضله، وبما يدلّ عليه من عقله ومذهبه»<sup>(7)</sup>، وهذا يدل على أن المعنى لا يُفهم بمعزل عن صاحبه، وأن القصد عنصر حاسم في ضبط التأويل.

وبناءً على ما سبق، يتبين أن البلاغة العربية قد أقامت نظاماً دلاليًا محكمًا، يجعل المعنى مرتبطاً بالقصد والسياق والمسؤولية. وهذا النظام هو الذي سيتعرض للاهتزاز عند الانتقال إلى النصوص

المولدة آلياً، حيث يغيب المتكلم، ويتفكك الرابط بين المعنى والوعي المنتج له، وهو ما يمهد للمبحث الثاني في هذا البحث.

### المطلب الثالث: من سلطة المؤلف إلى إشكالية غيابه

ينهض هذا المطلب بوظيفة انتقالية بين التأصيل البلاغي للإبداع وسلطة المعنى، والتحليل النقدي المعاصر لإشكالية النصوص المولدة آلياً؛ إذ يمهد لمساءلة مفهوم المؤلف بوصفه مركزاً للقصد والدلالة، تمهيداً للكشف عن أثر غيابه في الخطاب الآلي.

شكّلت مسألة سلطة المؤلف إحدى الركائز الأساسية التي قام عليها فهم النص في التراث البلاغي والنقدي العربي، إذ لم يكن النص يُعامل معه بوصفه كياناً مستقلاً عن منتجه، بل باعتباره أثراً دالاً على عقل قائله، وموقفه، ومقصده. ومن ثم، ارتبطت قيمة النص الأدبي بوجود ذاتٍ واعية تقف خلفه، تتحمل مسؤولية ما تنتجه من دلالات، وتُسأل عن مقاصدها وأثر خطابها في المتلقي.

وقد بدا هذا التصور جلياً في تعامل البلاغيين مع النصوص، حيث كانوا يربطون جودة الكلام بقدرة المتكلم على إحكام القصد، وضبط المعنى، ومراعاة المقام. يقول عبد القاهر الجرجاني: «واعلم أنك متى رأيت لفظاً قد أعجب به، وحُمد موقعه، فاعلم أنّ ذلك لم يكن لفضيلة فيه، ولكن لمعنى شريفٍ قد ألبس ذلك اللفظ»<sup>(8)</sup>.

يفهم من هذا النص أنّ اللفظ لا يكتسب قيمته بذاته، بل بما يحمله من معنى قصدي، وهو معنى لا ينفصل عن وعي المتكلم الذي اختاره ووجهه، كما يظهر حضور المؤلف بوصفه مركزاً للمعنى في كلام الجاحظ، حين يربط البلاغة بالعقل والمذهب، فيقول: «وانما يُستدلّ على فضل الكلام بفضل صاحبه، وعلى صحة المعنى بصحة القصد»<sup>(9)</sup>؛ ويكشف هذا القول عن وعي نقدي مبكر بمسؤولية المؤلف عن المعنى، وعن كون النص امتداداً لذات منتجة لا يمكن تجاهلها عند التأويل.

غير أنّ هذا التصور، على رسوخه في التراث العربي، يفتح الباب أمام إشكالية كبرى حين تنتقل إلى النصوص المولدة آلياً؛ إذ يختفي المؤلف بوصفه ذاتاً واعية، لتحلّ محلّه منظومة خوارزمية لا تمتلك قصداً ولا تجربة ولا موقفاً من العالم. وهنا تبرز مفارقة حادة: كيف يمكن لنصّ أن يحمل معنى، في غياب من قصده؟

لقد تنبّه بعض الدارسين المعاصرين إلى خطورة فصل النص عن منتجه، لما يترتب على ذلك من انفلات دلالي؛ يقول نصر حامد أبو زيد، في سياق حديثه عن علاقة النص بالقصد: «إنّ تجاهل قصد المتكلم لا يؤدي إلى تحرير المعنى، بل إلى فوضى تأويلية تُفرغ النص من أي مسؤولية دلالية»<sup>(10)</sup>. وعلى الرغم من اختلاف السياق الذي يتحدث فيه أبو زيد، فإنّ هذا الطرح يكتسب راهنيته عند مقارنة النصوص المولّدة آلياً، التي تُنتج فعلاً بلا قصد إنساني.

ومن هذا المنطلق، يمكن القول إن غياب المؤلّف في النص الآلي لا يمثّل مجرد تحوّل تقني، بل يحدث صدعاً معرفياً في التصورات البلاغية التقليدية التي جعلت القصد أساساً للمعنى، فالنص الآلي، وإن بدا منظماً ومتناسكاً في ظاهره، يفتقر إلى الشرط الذي يمنحه سلطة دلالية حقيقية، وهو شرط الوعي المنتج.

وقد أشار عبد السلام المسدي إلى هذه الإشكالية حين أكد أن اللغة، مهما بلغت درجة انتظامها، لا تتحول إلى خطاب ذي معنى إلا بوجود ذات متكلمة، إذ يقول: «اللغة نظام، أمّا الخطاب ففعل، ولا فعل بلا فاعل»<sup>(11)</sup>.

ويُسهّم هذا التمييز في توضيح الفارق الجوهرى بين النص الإنساني والنص المولّد آلياً، حيث يتحقق الأول بوصفه فعلاً، بينما يبقى الثاني محض ناتج آلي.

لذا فإن هذا المطلب لا يقف عند حدود التأسيس النظري، بل يؤدّي وظيفة منهجية حاسمة في البحث، تتمثل في تهيئة الأرضية النقدية لمساءلة النصوص المولّدة آلياً. فإذا كان التراث البلاغي العربي قد أقام فهمه للنص على حضور المؤلّف، فإن غياب هذا المؤلّف في النص الآلي يفرض إعادة النظر في مفاهيم الإبداع، والمعنى، وسلطة النص، وهو ما سيُعالج تفصيلاً في المبحث الثاني.

### المبحث الثاني: تحولات الإبداع في ظلّ التوليد الآلي للنصوص:

إذا كان المبحث الأوّل قد اشتغل على تأصيل مفهومي الإبداع والمعنى في البلاغة العربية، بوصفهما فعلين إنسانيين قائمين على القصد والوعي، فإن هذا المبحث ينتقل إلى مساءلة هذه الأسس في ضوء التحولات التي أحدثتها تقنيات التوليد الآلي للنصوص. فقد أفرز الذكاء الاصطناعي نمطاً جديداً من الإنتاج اللغوي، يبدو في ظاهره منضبطاً ومتناسكاً، لكنه يثير تساؤلات عميقة حول طبيعة

الإبداع، وحدود القصد، ومشروعية إسناد النص إلى ذات غير إنسانية. ويهدف هذا المبحث إلى تحليل مفهوم الإبداع في النقد العربي والحديث، ثم مقارنته بخصائص النصوص المؤلدة آلياً، للكشف عن الفروق الجوهرية بين الفعل الإبداعي الإنساني والإنتاج اللغوي القائم على الخوارزميات.

### المطلب الأول: مفهوم الإبداع في النقد العربي القديم والحديث

أخذ مفهوم الإبداع مكانة مركزية في النقد العربي، وإن لم يُصنغ دائماً بالمصطلح نفسه. فقد عبّر النقاد الأوائل عن الإبداع بمفاهيم مثل: الاختراع، والابتكار، والتصرف في المعاني، وحسن السبك، وهي مفاهيم تؤكد جميعها حضور الذات المبدعة وقدرتها على تجاوز المؤلف.

يشير ابن رشيق القيرواني إلى هذا المعنى حين يقول: «الاختراع هو أن يأتي الشاعر بمعنى لم يسبق إليه، أو يزيد في معنى سبق إليه غيره زيادة تُحسب له»<sup>(12)</sup>.

ويُفهم من هذا القول أنّ الإبداع لا يقوم على التكرار، بل على الإضافة والتجاوز، وهو ما يفترض وعياً نقدياً بالتراث، وقدرة على إعادة تشكيله، كما يربط حازم القرطاجني الإبداع بالقدرة على إحكام الصنعة، دون أن ينفصل ذلك عن التجربة الشعورية، إذ يقول: «وإنما يكون القول بليغاً إذا كان صادراً عن نفسٍ قد انفعلت بالمعنى، ثم عبّرت عنه على حسب ما اقتضاه المقام»<sup>(13)</sup>، وهنا يتجلى بوضوح أنّ الإبداع فعل مزدوج: انفعال داخلي، وصياغة لغوية واعية. وفي النقد الحديث، ظلّ الإبداع مرتبطاً بالذات والتجربة، وإن اختلفت المصطلحات، فقد أكدّ عبد الله الغدامي أنّ النص الإبداعي لا يُختزل في بنيته الشكلية، بل يُفهم في ضوء منتجه وسياقه الثقافي، مشيراً إلى أنّ «اللغة لا تتحوّل إلى إبداع إلا حين تُحمّل بوعي ثقافي، وتتجاوز وظيفتها التواصلية المباشرة»<sup>(14)</sup>. وبناءً على هذه التصورات، يتبين أنّ الإبداع، في جوهره، فعل إنساني يقوم على القصد، والتجربة، والقدرة على الاختيار، وهي عناصر ستصبح محلّ مساءلة عند الانتقال إلى النصوص المؤلدة آلياً.

### المطلب الثاني: التوليد الآلي للنصوص - الآليات والخصائص اللغوية:

ويُقصد بالتوليد الآلي للنصوص في هذا السياق النماذج اللغوية القائمة على التعلّم الإحصائي وتحليل المدونات النصية الضخمة، والتي تقوم على توقّع التراكيب اللغوية الأكثر احتمالاً في سياق معين، دون أن تنطلق من قصد تعبيرية أو تجربة ذاتية واعية.

يقوم التوليد الآلي للنصوص على نماذج خوارزمية تعتمد على تحليل كميات هائلة من البيانات اللغوية، ثم إعادة إنتاج أنماطها وفق مبدأ الاحتمال الإحصائي. ولا تنطلق هذه النماذج من قصد تعبيرى ولا من تجربة ذاتية، بل من عمليات حسابية تهدف إلى توقع الكلمة الأكثر ملاءمة في سياق معين. وقد أشار بعض الباحثين في اللسانيات الحاسوبية إلى أنّ هذه النماذج لا تفهم اللغة بمعناها الإنساني، بل تتعامل معها بوصفها سلاسل رمزية قابلة للمعالجة الرياضية<sup>(15)</sup>، وهذا يعني أن ما يبدو إبداعاً في النص الآلي هو في حقيقته نتيجة محاكاة دقيقة لأنماط لغوية سابقة. وتتميّز النصوص المولدة آلياً بعدة خصائص، من أبرزها:

1- سلامة التركيب النحوي.

2- انسجام الأسلوب.

3- القدرة على تقليد أنماط مختلفة من الكتابة.

غير أنّ هذه الخصائص، على الرغم من أهميتها التقنية، لا تكفي لمنح النص صفة الإبداع بالمعنى البلاغي والنقدي، لأن سلامة التركيب وانسجام الأسلوب لا يُنتجان معنى مستقلاً عن القصد. فالنص المولّد آلياً يبدو منضبطاً في ظاهره، لكنه يفتقر إلى المغامرة التعبيرية التي تميّز الفعل الإبداعي الإنساني، إذ لا يخطئ لأنه لا يعي، ولا يبتكر لأنه لا يختبر حدود اللغة، ويبدو أنّ أخطر ما يواجهه النقد الأدبي اليوم ليس قدرة الذكاء الاصطناعي على إنتاج نصوص سليمة لغوياً، بل قابليته لمحاكاة مظاهر الإبداع دون امتلاك شروطه الداخلية، فالنص الآلي لا يعيش التجربة التي يعبر عنها، بل يعيد تركيب آثارها اللغوية، وهو ما يجعل العلاقة بين اللغة والمعنى علاقة شكلية أكثر منها وجودية.

**المطلب الثالث: إشكالية القصد والتجربة في النص المولّد آلياً:**

تُعدّ مسألة القصد حجر الزاوية في التفريق بين النص الإنساني والنص المولّد آلياً، فبينما يقوم الأول على تجربة ذاتية، وانفعال وجداني، ورؤية للعالم، يفتقر الثاني إلى أي شكل من أشكال الوعي أو الشعور. يشير بول ريكور إلى أنّ النص، مهما بدا مستقلاً عن منتجه، يظلّ أثرًا لفعل إنساني سابق، لأن المعنى لا يتشكّل إلا داخل أفق التجربة الإنسانية والتاريخية للذات المتكلمة<sup>(16)</sup>.

وبغياب هذا الفعل، يتحوّل النص إلى بنية خاوية من الداخل، وإن بدت مكتملة من الخارج.

ومن هنا، فإن النص المولّد آلياً يطرح تحدياً نقدياً حقيقياً: هل يمكن التعامل معه بوصفه نصّاً إبداعياً، أم ينبغي إدراجه ضمن نمط جديد من الخطاب التقني؟ يذهب هذا البحث إلى أنّ غياب القصد يجعل النص الآلي أقرب إلى المنتج منه إلى الأثر الإبداعي.

#### المطلب الرابع: بين المحاكاة والإبداع - حدود التشابه الأسلوبي:

يُغري التشابه الأسلوبي بين النص الآلي والنص الإنساني بعض المتلقين بإسباغ صفة الإبداع على الأول، غير أنّ هذا التشابه يظلّ سطحيّاً. فالمحاكاة، مهما بلغت دقتها، لا تُنتج جيّداً، بل تُعيد ترتيب ما هو موجود.

وقد فرّق أرسطو، في حديثه عن المحاكاة، بين التقليد الخلاق القائم على إعادة تخيل الواقع، والتقليد القائم على النسخ، مؤكداً أنّ القيمة الفنية لا تتحقق إلا حين يتجاوز العمل مجرد المحاكاة الشكلية<sup>(17)</sup>، وإذا أسقطنا هذا التصور على النصوص المولّدة آلياً، تبين أنّها تفتقر إلى عنصر التخيل الخلاق، لأنها لا تمتلك وعياً بالواقع الذي تحاكيه، ولعلّ ما يمنح الإبداع الإنساني فرادته ليس القدرة على إنتاج اللغة فحسب، بل القدرة على خرق المألوف، ومقاومة التوقع، وتحويل التجربة الفردية إلى رؤية جمالية. أمّا النص المولّد آلياً، فمهما بلغ من التماسك، يظلّ أسير الأنماط الأكثر احتمالاً، لا الأنماط الأكثر دهشة.

#### المطلب الخامس: مقارنة تطبيقية بين النص الإنساني والنص المولّد آلياً:

لا تكتمل مسالة الفروق بين الإبداع الإنساني والتوليد الآلي عند المستوى النظري فقط، بل تقتضي الوقوف على نماذج تطبيقية تكشف طبيعة البناء الدلالي والأسلوبي في كلّ منهما. ومن هنا، يسعى هذا المطلب إلى إجراء مقارنة نقدية بين نص إنساني وآخر مولّد آلياً، للكشف عن حدود التشابه والاختلاف بينهما، وبيان أثر القصد والتجربة في تشكيل المعنى.

#### أولاً: النموذج الإنساني:

يقول محمود درويش:

على هذه الأرض ما يستحق الحياة:

على هذه الأرض سيدهُ الأرض،

أمّ البدايات، أمّ النهايات.

كانت تُسمّى فلسطين.

صارت تُسمّى فلسطين<sup>(18)</sup>.

يكشف هذا النص عن حضور ذاتٍ واعية تُحمّل اللغة تجربةً شعوريةً وتاريخيةً تتجاوز حدود التركيب الظاهري. فالتكرار هنا لا يؤدي وظيفة إيقاعية فحسب، بل يُنتج توترًا دلاليًا مرتبطًا بالهوية والانتماء والمقاومة، كما أنّ العبارة الشعرية لا تكتفي بوصف الواقع، بل تعيد تشكيله وجدانيًا ورمزيًا، وهو ما يمنح النص كثافته التأويلية.

ويتجلّى البعد الإبداعي في قدرة الشاعر على تحويل المعنى السياسي إلى تجربة إنسانية شاملة، عبر لغة موحية تفتح على الذاكرة والتاريخ والانفعال. ومن ثم، فإن النص لا يُقرأ بوصفه بنية لغوية فقط، بل بوصفه أثرًا لتجربة ذاتية وقصد تعبيرية واضح.

**ثانيًا: النموذج المولّد آليًا بواسطة نموذج نكاء اصطناعي:**

«الوطن مكان يمنح الإنسان الشعور بالأمان والانتماء، وتبقى ذكرياته مرتبطة بالأرض والناس والطفولة. فحب الوطن من المشاعر التي تسكن القلب، وتجعل الإنسان يسعى إلى الحفاظ عليه والدفاع عنه» (19).

يبدو النص منسجمًا من حيث التركيب اللغوي، كما يحافظ على سلامة نحوية ودلالية ظاهرة غير أنّه يظلّ خطابًا عامًا يفتقر إلى الخصوصية التعبيرية والتجربة الشعورية العميقة. فالعبارات الواردة فيه متوقّعة ومستهلكة ومكررة، ولا تكشف عن رؤية فريدة أو انفعال حقيقي، بل تقوم على إعادة إنتاج أنماط لغوية شائعة مرتبطة بموضوع الوطن، كما يُلاحظ أنّ المعنى في هذا النص مباشر ومغلق، ولا يفتح المجال أمام طبقات دلالية مركّبة كالتي تظهر في النص الإنساني، فاللغة هنا تؤدي وظيفة وصفية تقريرية، دون أن تتحول إلى تجربة جمالية أو تأملية.

**ثالثًا: المقارنة والتحليل:**

تكشف المقارنة بين النصين أنّ التشابه الظاهري في سلامة اللغة لا يلغي الفارق الجوهرية بين الإبداع الإنساني والتوليد الآلي، فالنص الإنساني يقوم على تجربة شعورية ورؤية للعالم تنعكس في اختيار الصور والإيقاع والانزياح الدلالي، بينما يعتمد النص المولّد آليًا على تجميع أنماط لغوية متوقعة دون امتلاك وعي بها.

كما يتبيّن أنّ القصد يلعب دورًا حاسمًا في بناء المعنى؛ إذ يرتبط النص الإنساني بسياق ثقافي وتاريخي يوجّه دلالته، في حين يظل النص الآلي منفصلًا عن أي تجربة حقيقية، مهما بدا متماسكًا من الخارج.

وعليه، فإنّ المحاكاة الأسلوبية التي تحققها النماذج اللغوية لا تكفي وحدها لمنح النص صفة الإبداع، لأن الإبداع لا يتحقق بسلامة البنية اللغوية فقط، بل بقدرة اللغة على حمل تجربة إنسانية واعية وتحويلها إلى أثر جمالي ودلالي.

### المبحث الثالث: سلطة النص والتأويل في الخطاب المولّد آلياً:

يمثل هذا المبحث خلاصة المسار التحليلي للبحث، إذ ينتقل من تأصيل الإبداع والمعنى بوصفهما فعلين إنسانيين، إلى مساءلة ما يترتب على غيابهما في النصوص المولّدة آلياً. فإذا كان النقد العربي قد أقام فهمه للنص على سلطة المؤلّف، وضبط المعنى بالقصد والمقام، فإن النص الآلي يربك هذه المسلّمات، ويفتح المجال أمام تحوّل عميق في مفهوم سلطة النص وحدود التأويل، ومن هنا، يسعى هذا المبحث إلى تحليل طبيعة هذه التحوّلات، وبيان آثارها النقدية والمعرفية.

### المطلب الأوّل: تحوّل سلطة النص من المؤلّف إلى البنية

ارتبطت سلطة النص في التراث النقدي العربي بوجود ذاتٍ متكلمة تُنسب إليها الأقوال، وتُحمّل مسؤولية المعاني التي ينتجها خطابها، فالنص لم يكن يُقرأ بوصفه كياناً مكتفياً بذاته، بل بوصفه أثرًا صادرًا عن عقل وقصد وتجربة، وقد تجلّى ذلك في تعامل النقاد مع الشعر والنثر، حيث كانت منزلة النص تتحدّد بقدر منزلة قائله، وبما يكشف عنه من فكر ورؤية.

غير أنّ النصوص المولّدة آلياً تقلب هذا التصوّر رأساً على عقب، إذ تنتج خطاباً بلا مؤلّف إنساني، وبلا قصد واعٍ، فتنقل سلطة النص من المؤلّف إلى البنية اللغوية ذاتها، وهنا يصبح النص مقروءاً من خلال انتظامه الشكلي، لا من خلال نسبه إلى ذاتٍ منتجة، ويؤدي هذا التحوّل إلى إضعاف العلاقة التقليدية بين النص والمعنى، لأن البنية، مهما بلغت درجة تماسكها، لا تستطيع وحدها أن تمنح الخطاب شرعية دلالية.

وقد أشار ميشال فوكو، في سياق حديثه عن "وظيفة المؤلّف"، إلى أن غياب المؤلّف لا يعني تحرّر النص، بل انتقال السلطة إلى أنساق أخرى غير مرئية<sup>(20)</sup>، وإذا أسقطنا هذا الطرح على النصوص المولّدة آلياً، أمكن القول إن السلطة لا تختفي، بل تتحوّل من المؤلّف إلى الخوارزمية، بما تحمله من اختيارات مضمرة، وأنماط لغوية مهيمنة.

ومن ثم، فإن النص الآلي لا يُنتج فراغًا سلطويًا، بل يعيد توزيع السلطة، بحيث تصبح كامنة في النظام التقني ذاته، لا في ذاتٍ بشرية يمكن مساءلتها، غير أنّ انتقال السلطة إلى الخوارزمية يطرح إشكالات أكثر تعقيدًا من سلطة المؤلف التقليدية؛ إذ يصبح النص خاضعًا لمنظومة تقنية غير مرئية تتحكم في إنتاج الخطاب وتوجيهه، دون أن تمتلك في الوقت نفسه وعيًا أخلاقيًا أو مسؤولية دلالية. ومن هنا، فإن حياد الآلة المزعم قد يخفي أشكالًا جديدة من السلطة أكثر غموضًا وتأثيرًا. وهذا التحول يطرح تحديًا نقديًا عميقًا، يتمثل في: كيف نقرأ نصًا لا يمكن إسناده إلى مؤلف، ولا مساءلته أخلاقيًا أو معرفيًا، ولتوضيح هذه الإشكالية، يمكن الوقوف عند النموذج السابق من النصوص المولدة آليًا، حيث يظهر انتظامٌ تركيبى واضح، وتسلسلٌ منطقي في الأفكار، غير أنّ هذا التماسك يظل شكليًا، إذ يفنقر النص إلى رؤية أو موقف أو تجربة يمكن إسنادها إلى ذاتٍ واعية، ويؤدي هذا الغياب إلى انفتاح الدلالة على احتمالات تأويلية واسعة، لا يضبطها قصد سابق، مما يجعل المعنى معتمدًا كليًا على إسقاطات المتلقي لا على بنية دلالية مسؤولة، ولا تكمن خطورة التوليد الآلي للنصوص في منافسته للإنسان على مستوى الصياغة اللغوية فحسب، بل في قابليته لإعادة تشكيل مفهوم الإبداع نفسه داخل الثقافة المعاصرة، فكلما ازدادت قدرة الآلة على محاكاة الخطاب البشري، أصبح النقد الأدبي مطالبًا بالدفاع عن البعد الإنساني للإبداع، لا بوصفه امتيازًا تقنيًا، بل بوصفه فعلًا مرتبطًا بالوعي والتجربة والمسؤولية الدلالية، ومن هنا، فإن التحدي الذي تفرضه النصوص المولدة آليًا لا يتمثل في قدرتها على إنتاج لغة متماسكة فقط، بل في ما تثيره من أسئلة عميقة حول حدود المعنى، وطبيعة المؤلف، ومستقبل العلاقة بين الإنسان واللغة في العصر الرقمي.

#### المطلب الثاني: المتلقي وإعادة إنتاج المعنى في غياب القصد:

قد يؤدي غياب المؤلف في النصوص المولدة آليًا إلى تضخم دور المتلقي، الذي يتحول من مستقبل للمعنى إلى منتج له. ففي غياب قصدٍ سابق يوجّه الدلالة، يصبح التأويل مفتوحًا على احتمالات واسعة، قد تبلغ حدّ الانفلات. ويبدو هذا التحول، في ظاهره، منسجمًا مع بعض الاتجاهات التأويلية الحديثة التي رفعت من شأن القارئ، غير أنّه يطرح إشكالات خطيرة حين يُطبق على نصوص بلا منتج إنساني.

لقد أكد أمبرتو إيكو أنّ حرية التأويل لا تعني الفوضى، بل تظلّ محكومة بـ«حقوق النص» (21) غير أنّ النص الآلي، بحكم افتقاره إلى قصد، يضعف هذه الحقوق؛ لأن البنية اللغوية وحدها لا تكفي لضبط الدلالة، وهنا يجد المتلقي نفسه أمام خطاب مفتوح، لا يحده إلا خياله ومعرفته المسبقة، ويحدّر نصر حامد أبو زيد من هذا الوضع، حين يربط بين غياب القصد وانهايار الضبط التأويلي، إذ يقول: «إنّ تحرير النص من سلطة القصد لا يعني تحرير المعنى، بل فتحه على تأويلات لا نهائية تفقده وظيفته المعرفية» (22).

وتزداد خطورة هذا الأمر في النصوص المولدة آلياً، لأن القارئ قد يسقط عليها معاني لم تُقصد أصلاً، ثم يتعامل معها بوصفها دلالات مشروعة. وعليه، فإن تضخم دور المتلقي في النص الآلي لا يمثل بالضرورة إثراءً دلاليًا، بل قد يكون مؤشراً على أزمة معنى، ناجمة عن غياب المرجعية الإنسانية للنص.

### المطلب الثالث: حدود التأويل ومسؤولية النقد الأدبي المعاصر

أمام هذه التحولات، يجد النقد الأدبي نفسه مطالباً بإعادة النظر في أدواته ومفاهيمه، دون أن يتخلى عن ثوابته المعرفية، فالتعامل مع النصوص المولدة آلياً لا يمكن أن يتمّ بالآليات نفسها التي طبقت على النصوص الإنسانية، لأن اختلاف شروط الإنتاج يقتضي اختلافاً في مناهج القراءة. إن مسؤولية النقد اليوم تتمثل في التمييز بين الإبداع والمحاكاة، وبين النص بوصفه فعلاً إنسانياً، والنص بوصفه منتجاً تقنياً، ولا يعني هذا إقصاء النصوص المولدة آلياً من مجال الدراسة، بل إدراجها ضمن أفق نقدي جديد، يراعي خصوصيتها، ويمنع في الوقت نفسه الخلط بينها وبين الإبداع الإنساني. وقد شدّد عبد السلام المسدي على ضرورة الحفاظ على البعد الإنساني في تحليل الخطاب، مؤكداً أن «اللغة، مهما بلغت درجة انتظامها، لا تصبح ذات معنى إلا حين تُدرك في إطار فعل تواصلية إنسانية» (23)، ومن هنا فإن النقد الأدبي مدعو إلى مساءلة النص الآلي لا من حيث جمالياته الشكلية فحسب، بل من حيث شروط إنتاجه، وحدود دلالاته، ووظيفته الثقافية.

ويخلص هذا المبحث إلى أنّ النصوص المولدة آلياً تفرض على النقد الأدبي تحدياً مزدوجاً: تحدي الحفاظ على مفهوم الإبداع بوصفه فعلاً إنسانياً، وتحدي تطوير أدوات نقدية قادرة على قراءة الخطاب التقني دون الوقوع في إغراء المساواة بين الإنسان والآلة.

## الخاتمة (نتائج البحث):

- انطلاقاً من الإشكالية التي سعى هذا البحث إلى معالجتها، والمتعلقة بحدود الإبداع وسلطة المعنى في النصوص المولدة آلياً، أمكن التوصل إلى جملة من النتائج التي تبرز الفارق الجوهرى بين الفعل الإبداعي الإنساني والإنتاج اللغوي القائم على الخوارزميات. من أهمها:
- 1- يبين البحث أن الإبداع في البلاغة العربية لا يُفهم بوصفه انتظاماً لغوياً شكلياً، بل يُعدّ فعلاً إنسانياً قصدياً يقوم على الوعي، والاختيار، وترتيب المعاني في الذهن قبل تجسيدها في الخطاب.
  - 2- يثبت التحليل أن المعنى في التصور البلاغي العربي مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقصد والسياق والمقام، وأنه لا يمكن عزله عن ذات المتكلم المسؤول عن إنتاجه وتوجيه دلالاته.
  - 3- يؤكد البحث أن نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني تمثل أساساً معرفياً متيناً لفهم العلاقة بين الإبداع والمعنى، وتكشف أن البلاغة ليست خاصية لفظية، بل بناءً دلاليًا ذهنيًا.
  - 4- يخلص البحث إلى أن النصوص المولدة آلياً، على الرغم من سلامتها التركيبية وانسجامها الأسلوبى، تقوم على المحاكاة الإحصائية لأنماط لغوية سابقة، ولا تتبع من تجربة إنسانية أو قصد تعبيرى واعٍ.
  - 5- يبين البحث أن غياب القصد في النص المولّد آلياً يحدث خللاً جوهرياً في سلطة المعنى، ويقوّض العلاقة التقليدية بين النص والمؤلف كما استقرت في النقد العربي.
  - 6- يوضّح البحث أن انتقال سلطة النص من المؤلف الإنساني إلى البنية أو الخوارزمية لا يؤدي إلى تحرر الدلالة، بل إلى إعادة توزيع غير مرئي للسلطة داخل النظام التقني ذاته.
  - 7- يكشف البحث أن تضخم دور المتلقّي في تفسير النصوص المولدة آلياً، في ظل غياب القصد، قد يفضي إلى انفلات تأويلي يفقد النص وظيفته المعرفية والثقافية.
  - 8- يؤكد البحث أن التشابه الأسلوبى بين النص الإنساني والنص الآلي تشابه ظاهري، لا يصمد أمام التحليل البلاغي والنقدي الذي يكشف غياب التخيل والتجربة والرؤية في النص المولّد آلياً.
  - 9- يخلص البحث إلى أن النقد الأدبي المعاصر مطالب بتطوير أدواته المنهجية للتعامل مع النصوص المولدة آلياً، مع الحفاظ على مفهوم الإبداع بوصفه فعلاً إنسانياً لا يُختزل في البنية اللغوية.

10- يفتح البحث آفاقاً مستقبلية للدراسة، تتعلّق بعلاقة الأدب بالتقنية، وحدود الذكاء الاصطناعي في إنتاج المعنى، ومستقبل البلاغة العربية في سياق التحوّلات الرقمية. بعد النتائج. وفي ضوء ما سبق، لا يبدو التحديّ الحقيقي الذي يطرحه الذكاء الاصطناعي على الأدب مرتبطاً بقدرة الآلة على تقليد اللغة، بقدر ما يرتبط بإعادة تعريف الإنسان نفسه داخل الفعل الإبداعي. فكّماً اقتربت الآلة من محاكاة الكتابة، ازدادت الحاجة إلى التمسك بما يجعل الإبداع فعلاً إنسانياً يتجاوز حدود الصياغة إلى الوعي والتجربة والوجود. ولا تكمن خطورة التوليد الآلي للنصوص في منافسته للإنسان على مستوى الصياغة اللغوية فحسب، بل في قابليته لإعادة تشكيل مفهوم الإبداع نفسه داخل الثقافة المعاصرة. فكّماً ازدادت قدرة الآلة على محاكاة الخطاب البشري، أصبح النقد الأدبي مطالباً بالدفاع عن البعد الإنساني للإبداع، لا بوصفه امتيازاً تقنياً، بل بوصفه فعلاً مرتبطاً بالوعي والتجربة والمسؤولية الدلالية. ومن هنا، فإن التحديّ الذي تفرضه النصوص المولدة آلياً لا يتمثل في قدرتها على إنتاج لغة متماسكة فقط، بل في ما تثيره من أسئلة عميقة حول حدود المعنى.

#### الهوامش:

- 1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1992م، ص 47.
- 2- المرجع نفسه، ص 49.
- 3- الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998م، ص 75.
- 4- ابن جني، الخصائص، ج 1، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، د.ت، ص 33.
- 5- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 53.
- 6- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، 1994م، ص 336.
- 7- الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص 88.
- 8- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1992م، ص 62.
- 9- الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998م، ص 91.

- 10- نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - بيروت، 2005م، ص 47.
- 11- عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، دار توبقال، الدار البيضاء، 1986م، ص 11.
- 12- ابن رشيقي القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج 1، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، 1981م، ص 122.
- 13- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ص 45.
- 14- عبد الله الغزالي، الخطيئة والتكفير، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1997م، ص 33.
- 15- ستيفن بيرد وآخرون، مدخل إلى معالجة اللغات الطبيعية، ترجمة: أحمد عابد، عالم المعرفة، الكويت، 2012م، ص 58.
- 16- بول ريكور، نظرية التأويل: الخطاب وفائض المعنى، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - بيروت، ص 36.
- 17- أرسطو، فن الشعر، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت، ص 9.
- 18- محمود درويش، الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت، 2005م، ج 1، ص 343.
- 19- نص مؤلّد بواسطة نموذج ذكاء اصطناعي، تم إنشاؤه لأغراض البحث في أبريل 2026م.
- 20- ميشيل فوكو، ما المؤلّف؟، ترجمة: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص 124.
- 21- أمبرتو إيكو، حدود التأويل، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص 23.
- 22- نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2007م، ص 61.
- 23- عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، دار توبقال، الدار البيضاء، 1986م، ص 119.